المنهج الوقائي من الأوبئة في القران الكريم والسنة النبوية

أ.م.د. مها عبدالله نجم الشرقي

جامعة البصرة /كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ

07801276357ail76@gmail.com

الملخص:

تعد المشكلات الصحية من أخطر المشاكل التي تواجه أي مجتمع، قد أوضحت لنا مصادرنا المتمثلة بكتاب الله القران الكريم واحاديث النبي(صلى الله عليه واله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) سبل الوقاية من هذه الإمراض والأوبئة، وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة ومحورين الأول يتحدث عن أهم المنهج الوقائي في القران الكريم , اما المحور الثاني فكان عن المنهج الوقائي الذي أكد عليه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وآل بيته(عليهم السلام) من بعده , وانتهت بخاتمة بينا فيها أهم النتائج التي توصلنا لها والتي تؤكد على السبق القرآني والنبوي وإعجازهما في الطب الوقائي.

الكلمات المفتاحية : (المنهج الوقائي، الأوبئة، القران الكريم، السنة النبوية).

The preventive approach from epidemics in the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah

Asist .prof .dr .Maha Abdullah Najim Al Sharqi

University of Basrah / College of Education and Human Sciences / Department of History

Abstract:

Health problems are at risk of the problems that our sources face, represented by the Book of God, the Noble Qur'an, the hadiths of the Prophet (may God bless him and grant him peace) and his family (peace be upon them) as ways to prevent these first

diseases and epidemics. The Holy, the second axis was about the preventive approach that the Messenger of God (peace be upon them) confirmed after him, and it ended with a conclusion in which we explained the most important results that he reached confirming the Qur'anic and Prophetic precedence and their miraculousness in preventive medicine.

Keywords: (preventive approach, epidemics, the Noble Qur'an, the Sunnah of the Prophet).

المقدمة :

تعد المشكلات الصحية من أخطر المشاكل التي تواجه أي مجتمع , نظرا لتأثيرها على كافة نواحي الحياة العامة فيه ، والمجتمع الإسلامي مر عبر عصوره التاريخية المختلفة بعدد من الطواعين والأوبئة تباينت في تأثيراتها السلبية آنذاك , ومصادرنا المتمثلة بكتاب الله القران الكريم واحاديث النبي(صلى الله عليه واله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) ، قد أوضحت سبل الوقاية من هذه الإمراض والأوبئة , إذ ذكر لنا القران في آياته العلاج ، كما أن رسول الله (صلى الله عليه واله سلم) وآل بيته(عليهم السلام) لم يقفوا وقتئذ مكتوفي الأيدي أمام هذه الأوبئة والإمراض الفتاكة بل واجهوها بوضع منهج وقائي بينوا فيه مخاطرها وطرق العلاج والوقاية منها , فكانت التوجيهات النبوية دستورا للبشرية جمعاء في طب الأبدان الذي يتمثل في حفظ صحة الإنسان .

جاءت هذه الدراسة في مقدمة ومحورين الأول يتحدث عن أهم المنهج الوقائي في القران الكريم , اما المحور الثاني فكان عن المنهج الوقائي التي أكد عليه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وآل بيته(عليهم السلام) من بعده , وانتهت بخاتمة بينا فيها

أهم النتائج التي توصلنا لها والتي تؤكد على السبق القرآني والنبوي وإعجازهما في الطب الوقائي .

***المطلب الأول : المنهج الوقائي في القران الكريم**

المنهج الوقائي هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية[١] , ويقوم المنهج الوقائي على مجموعة من الآليات والإرشادات لوقاية الإنسان من العلل والأوبئة قبل وقوعها ومنع انتشار العدوى اذا وقعت[٢] .

والمنهج الوقائي في كتاب الله يتضمن مجموعة من الآليات أهمها :

١-آلية الاستشفاء بالقرآن الكريم الذي أنزل من أجل صلاح البشرية:

القرآن الكريم هو حصن المسلم من كل الأمراض التي تصيبه ، سواء كانت الأمراض النفسية والمعنوية ، أو الأمراض الحسية والجسدية التي يعاني منها الانسان المسلم• يأمرنا الله تعالى على الاستزادة من قراءة القران الكريم لقوله تعالى : " قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ " [٣]، وقوله تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ " [٤]، يقول ابن القيم الجوزية : " القرآن هو : الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية ، وأدواء الدنيا والآخرة"[٥] .

ففي كتاب الله تعالى شفاء من الأوجاع [٦]. لأنّه يقع به الشّفاء على الأمراض النّفسانيّة والأسقام الباطنية والآلام الأخروية من سائر المهلكات والأمراض التي إذا استحكمت أعيت الأطباء الروحانيين عن علاجها . قوله تعالى : « قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ » يعني : أن القرآن هدى وشفاء بالقياس إلى قوم وهم الذين لم يفسد

قرائحهم ولم يتغير فطرتهم الأصلية التي فطرهم اللَّه عليها وهو بعينه ضلال بالقياس إلى من فسدت قريحته وتغيرت فطرته[٧] .

كما ان قراءة القرآن فيها علاج نفسي متكامل يتمثل بالشعور والراحة والاطمئنان ، فقال تعالى : " الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"[٨] .

٢-آلية اليقين والاعتقاد التام لقدرة الله وتعالى على الشفاء من كل الأمراض والآلام:

الله تبارك وتعالى الشافي المعافي من كل العلل والأسقام ، لقوله تعالى "وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ"[٩] ، ومعناه بأن الله تعالى يفعل كل ما يحفظ بدني ويصح جسمي ويرزقني ما يوصلني إليه[١٠].

فإذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع وهي بشارة عظيمة لكل مؤمن لان الآدمي لا ينفك غالبا من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك ، وأن الأمراض والأوجاع والآلام بدنية كانت أو قلبية تكفر ذنوب من تقع له من المؤمنين[١١]، فقال : "إذا مرضت "ولم يقل : أمرضني لأن كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في طعامه وشرابه وغير ذلك [١٢]. ومع أن المرض أيضا قد يكون من الله ، إلا أن إبراهيم (عليه السلام) نسبه إلى نفسه رعاية للأدب في الكلام[١٣] ، فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله ، فلم يقدح ذلك في كونه تعالى خالقا للمرض والشفاء ، بل إنما فصل بينهما رعاية الأدب[١٤] .

٣-آلية الشفاء بتناول بعض أنواع الأطعمة التي ذكرها القرآن الكريم :

ذكر لنا الله تعالى الكثير من أنواع الأطعمة المفيدة لصحة الانسان ، ومن أمثلة هذه الأطعمة العسل الذي يجمعه النحل من رحيق الازهار والثمار ، لقوله تعالى :

"وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ *ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "[١٥] .

فمع أن النحل تأكل الحامض والمر فيحيله الله عسلا حلوا لذيذا يعني : العسل مختلفة ألوانه أبيض وأصفر وأحمر، " فيه شفاء للناس " لما شفائها فيه ، والعسل ، وهو شراب فيه شفاء من كثير من الأمراض ، وفيه منافع جمة[١٦]. وهو من جملة الأشفية والأدوية المشهورة وتنكيره : إما لتعظيم الشفاء الذي فيه ، أو لأن فيه بعض الشفاء ، وقال :" يخرج من بطونها " وإن كانت تلقيه من أفواهها كالريق ، لئلا يظن أنه ليس من بطنها [١٧] .

ومن الأطعمة الأخرى التي ذكرت بالقرآن التين والزيتون ، لقوله تعالى " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ"[١٨]، أما التين فإنه غذاء وفاكهة ودواء ، أما كونه غذاء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج الترشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه[١٩] .

وأما الزيتون فشجرته هي الشجرة المباركة فاكهة من وجه وإدام من وجه ودواء من وجه ،كما إن زيت الزيتون يحتوي على مواد هامة لتغذية الجسم من بينها الحموض الدسمة الداخلة في تركيبه وهي حموض دسمة غير مشبعة , وهذه الحموض تمنح ارتفاع كولسترول الدم , ومن ثم تقلل من تعرض الذين يتناولونه لإمراض تصلب الشرايين , وخناق الصدر , واحتشاء العضلة القلبية والدماغ , كما أن للزيت الجيد تأثير على بعض اضطرابات جهاز الهضم كالإمساك , وبعض حالات المغص المعوي ,

والكلوي , ويتم استعمال الزيت في الكثير من المستحضرات الطبية[٢٠] .وغيرها من الاطعمة التي ورد ذكرها في القران الكريم والتي فيها الكثير من المنافع ، وهي أدوية لمعالجة أنواع متعددة من الآلام والأوجاع.

وبالمقابل فقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن تناول بعض الأطعمة التي من شأنها ان تسبب الضرر للإنسان ، فقال تعالى : "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ"[٢١] .

كما امر الله سبحانه وتعالي عباده في قوله : { كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِين }[٢٢] , والآية تؤكد على ضرورة الاعتدال في تناول الأطعمة لأسباب عده اهمها الحفاظ على صحة البدن وعدها الإمام زين العابدين علي بن الحسين السبط (عليه السلام) هذه الآية علم جامع للطب إذ قال : " جمع الله الطب في نصف آية "[٢٣] , كما قال الامام أبا الحسن (عليه السلام) : " لو أن الناس قصدوا في المطعم لاعتدلت أبدانهم "[٢٤].

٤-آلية الابتعاد عن كل ما قد يسبب الهلاك للمؤمن :

أمرنا الله تعالى بالابتعاد عن مسببات الهلاك بما فيها الأمراض والأوبئة التي قد تسبب الهلاك للإنسان لقوله تعالى : "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ "[٢٥] ،ومعنى التهلكة في الآية الكريمة أن لا تطرحوا أنفسكم في الهلاك ، بأن تفعلوا ما يؤدي إليه [٢٦].

والتهلكة مصدر بمعنى الهلاك وليس في كلام العرب مصدر على تفعلة بضم العين إلا هذا . وقيل : التهلكة كل ما يصير عاقبته إلى الهلاك ، وأصل الهلاك :

الضياع ، وهو مصير الشيء بحيث لا يدرى أين هو، فيجب الابتعاد عن كل اسباب الهلاك [٢٧].

٥-آلية الانفاق المتمثلة بالصدقة باعتبارها من أبواب الخير :

إذا كانت الصدقة بنية الشفاء لأي مرض كان ، سواء أكان يرجى شفاؤه بسرعة أم كان مرضاً مزمناً يحتاج الى وقت . فالصدقة تكون بحسب حال المتصدق ، فجاءت آيات القرآن الكريم لتذكر لنا فوائد الصدقة المتمثلة بتزكية النفس ، وتحصيل الأجر واثواب من الله سبحانه، فقد قال تعالى : "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا"[٢٨]، وقوله تعالى : "آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ"[٢٩] ، وقوله: " انْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ "[٣٠] .

٦-آلية الدعاء بنية الشفاء لمن كان مريضاً ويبحث عن أسباب العلاج :

أن الله مجيب للدعاء وهو القادر على دفع البلاء والمرض . فقد ذكر الله في القرآن الكريم مثلاً على ذلك في تضرع نبيه أيوب (عليه السلام) وطلبه الشفاء في قوله تعالى: { وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ* ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ }[٣١] فيقول الله لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) " واذكر " * { يا محمد" عبدنا أيوب إذ نادى ربه" } فقال يا رب ، لان النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان ومتى قال اللهم افعل بي وارزقني وعافني كان داعيا ولا يكون مناديا { اني مسني الشيطان} , أي وسوسني وذكرني ما كنت فيه من نعم الله في الأهل والولد والمال ، وكيف زال ذلك كله ، فوجده صابرا عند ذلك مسلما لأمر الله تعالى . فأجاب الله تعالى دعاه وقال:{ اركض برجلك } , أي ادفع برجلك الأرض ، فقال الله له { هذا

مغتسل } , أي ماء مغتسل { بارد وشراب } إن أيوب اغتسل من تلك العين ، فأزال الله تعالى عنه جميع ما كان فيه من الأمراض [٣٢] . وهذا فضل دعاء المؤمن واستغاثته بالله العزيز المجيب لدعوات عبادة الخالصة والنابعة من الايمان بالله وقدرته على كل شيء.

المطلب الثاني: المنهج الوقائي عندالنبي(صلى الله عليه واله) وآل بيته(عليهم السلام)

الأوبئة والإمراض ابتلاء من الله تعالى فعندما سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن ذلك كان جوابه "ان هذه الآفات وان كانت تنال الصالح والطالح جميعاً ، فأن الله عز وجل جعل في ذلك صلاحاً للصنفين كليهما: أما الصالحون فإن الذي يصيبهم من هذا يذكرهم نعم ربهم في سالف أيامهم ؛ فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر ، وأما الطالحون فإن مثل هذا إذا نالهم كسر شرتهم وردعهم عن المعاصي والفواحش"[٣٣] .

ومع ان الاوبئة ابتلاء من الله سبحانه وتعالى إلا أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عمل على تقديم النصح والارشاد ووضع آليات متعددة للمسلمين للوقاية من الفيروسات ومواجهة الأوبئة ، فلم يتهاون النبي(صلى الله عليه واله وسلم) في تقديم النصح للمسلمين في كيفية التعامل مع الأوبئة ، كما لم يهول ذلك أيضاً ،بل أمر المسلم أن يكون حذراً ، ونصحه أن يتعامل بشكل عملي مع الوباء للوقاية منه ، خير من ان ينوح ويبكي على اللبن المسكوب ، فالوباء عدو للإنسان يجب أن تتضافر جهود البشر جميعاً لوضع حد له ، ومواجهته بكل السبل العلمية المتاحة ، حتى لا ينتشر وينتقل من مكان لآخر . ويتضمن هذه المنهج مجموعة من الآليات ومن أهمها :

١- آلية الحث على التداوي من الأمراض والاوبئة :

فقد أمر النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بالتداوي من الامراض ، فحين قيل له :" يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم فتداووا فإن الله لم ينزل داء إلا وقد أنزل له دواء"[٣٤].

فالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) ينبه المسلمين والبشرية كلها على ان العلاج والتداوي ينطلق من الحفاظ على النفس والبدن والعقل ويبين بأن لكل مرض شفاء ولكل داء دواء باختلاف العصور والازمنة ، وتطور الادوية والعلاج والوسائل الطبية ، فعلى المصاب ان لا يفقد الامل مهما كان مرضه خطيراً .

والى جانب التداوي بالأدوية والعقاقير الطبية وهي اشياء مادية ، هناك أمور معنوية لا تقل أهمية عن الأدوية، ولها أثر كبير في نفس المريض، ومن أشكال التداوي المعنوي :-

*قراءة القران الكريم فقال تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا"[٣٥] .

*ومن الأدوية المعنوية الاخرى ذكر أهل البيت (عليهم السلام) ، فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : "ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك والاسقام ووسواس الريب ، وحبنا رضى الرب تبارك وتعالى" [٣٦] .

* ومن اشكال التداوي التي حث عليها النبي (صلى الله عليه واله) أهل بيته(عليهم السلام) الدعاء ، فمتى كان الانسان صادقاً والدعاء خارجاً من اعماق قلبه تحدث حالة من التغير لدى الانسان المؤمن لدفع البلاء الدعاء من الادوية المعنوية المهمة ،

فقد وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):"تدعون ربكم بالليل والنهار ، فإن سلاح المؤمن الدعاء " [٣٧] ، روي عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) انه قال: "الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل "[٣٨] .

وجاء عن الباقر (عليه السلام) قال :" قال أمير المؤمنين عليه السلام من اصابه ألم في جسده فليعوذ نفسه وليقل أعوذ بعزة الله وقدرته على الأشياء أعيذ نفسي بجبار السماء أعيذ نفسي بمن لا يضر مع اسمه داء أعيذ نفسي بالذي اسمه بركة وشفاء فإنه إذا قال ذلك لم يضره ألم ولا داء"[٣٩] .

كما ورد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال : "هل تعرفون طول البلاء من قصره ؟ قلنا : لا ، قال : إذا الهم أحد [كم] الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير"[٤٠] .

وروي عن أبو الحسن موسى (عليه السلام) انه قال : "عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق إلا إمضاؤه ، فإذا دعي الله عز وجل وسئل صرف البلاء صرفة "[٤١] .

وجاء عن الإمام الرضا(عليه السلام) : "عليكم بسلاح الأنبياء فقيل له : وما سلاح الأنبياء يا ابن رسول الله ؟ فقال عليه السلام الدعاء "[٤٢] .فالتوجه الى الله سبحانه وتعالى في دفع البلاء أولى ، فمتى أشتد الفزع فإلى الله تعالى المفزع ، وهو وحده سلاح المتقين .

*أما الصدقة فشأنها كبير ايضاً في التداوي المعنوي ، فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) : "عليكم بالدعاء فإنه شفاء من كل داء "[٤٣]،وعن الإمام الكاظم(عليه

السلام) أنه قال: "داوهم بالصدقة فليس شيء أسرع إجابة من الصدقة، ولا أجدى منفعة للمريض من الصدقة" [٤٤]

٢- آلية التعامل مع الاوبئة المتمثلة بالحجر الصحي :

لقد أرسى رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) مبادئ الحجر الصحي قبل ألف واربعمائة عام وأكثر , ومن اجل منع انتشار الاوبئة وضع رسول الله قاعدتين اساسيتين تعتبران من أساسيات الطب الوقائي هما العزل والحجر الصحي ، اذ قال صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"، وقال أيضًا: " الفار من الطاعون كالفار من الزحف ، والصابر فيه كالصابر في الزحف"، وقال ايضا : " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه "[٤٥] .

ففي هذه الأحاديث الشريفة خطة طبية محكمة وضعها النبي الأمي في وقت لم يكن هناك فيه من يعلم بـ "الحجر الصحي" أو غيره، فألزم المسلم الذي يكون موجودًا في بلد تفشى فيه الطاعون بألا يخرج منه وإن كان سليمًا لأنه ربما حمل المرض، ومن يكون خارج البلد فعليه ألا يدخلها , وبذلك علم رسول الله البشرية منهجا يقوم على تجنب الانسان المجاميع والجوامع واللقاءات العامة ، وعدم الخروج من البيوت الا للضرورة القصوى ، لئلا تنتشر العدوى بين الناس ، فقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): "لا ضرر ولا ضرار"[٤٦] .

وأكد أنه يجب تجنب الاقتراب من الشخص المصاب فعن الصادق ، عن رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال:" وكره أن يكلم الرجل مجذوما إلا أن يكون بينه وبينه قدر ذراع "[٤٧]، وقال (عليه السلام) : "فر من المجذوم فرارك من الأسد" [٤٨] .

٣- آلية التباعد الاجتماعي :

يعد التباعد الاجتماعي الحل الاسرع لاحتواء الأوبئة , وهذا نجده في قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : "لا يوردن ذو عاهة على مصح . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تديموا النظر إلى المجذومين ، فمن كلمه منكم فليكن بينهم وبينه قدر رمح "[٤٩] , كما أكد (صلى الله عليه واله وسلم) على عدم التصافح والتلامس ، فقد روى " أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه فأخرج يده فإذا هي جذماء ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ضم يدك قد بايعتك ، وكان من عادته صلى الله عليه وسلم المصافحة فامتنع من مصافحته لأجل الجذام"[٥٠] .

٤- آلية اعتماد النظافة كوسيلة من وسائل العلاج :

تعد من أهم سبل العلاج التي أكد عليها (صلى الله عليه واله وسلم) , باعتبارها من مظاهر الايمان ومن شروط أداء مناسك الاسلام فقال(صلى الله عليه واله وسلم): "النظافة من الإيمان"[٥١] وتشمل النظافة الثوب والبدن والمأكل والمشرب ... فمتى التزم المسلم بهذه النصائح كان بعيداً عن الاصابة بالأوبئة والأمراض كفانا الله عز وجل وأياكم الإصابة بها , كما اكد رسول الله على نظافة البيئة التي يعيش فيها الانسان , فكل امر يلوث البيئة من حولنا سواء كان يتعلق بالماء او الهواء او طريق المارة , فهو مخالف لمنهج الطب الوقائي النبوي , فعن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال : " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه " [٥٢], وقال ايضا : " عرضت على أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن "[٥٣] , ويقصد بالنخاعة البصاق , فقد عده رسول الله من أسوء سلوكيات الإنسان ومخالف للنظافة .

٥- آلية اعتماد الطعام والشراب الصحي :

أكد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على الوقاية من الإمراض قبل وقوعها من خلال اتباع منهج غذائي صحي يعتمد على بعض الاطعمة الصحية مثل التمر فأنه دواء لأعظم الامراض ، واشدها خطراً، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):" من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر"[٥٤] ، وقال (صلى الله عليه وسلم):" في العجوة العالية شفاء أو انها ترياق أول البكرة على الريق"[٥٥]، ومن الاطعمة الاخرى العسل فقد قال الله عز وجل : "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ"[٥٦]، وعن الإمام الصادق(عليه السلام) قال :" قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :" لعق العسل شفاء من كل داء"[٥٧], كما اكد رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) على عدم ملء المعدة بالطعام والشراب اذ قال : " ما ملا آدمي وعاء شرا من بطن ، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه ، فإن غلبت الآدمي نفسه ، فثلث للطعام ، وثلث للشراب ، وثلث للنفس "[٥٨] , وعندما سمع ابن رجب هذا الحديث قال : " أنه أصل عظيم جامع لأصول الطب كلها "[٥٩], وقال ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث : " لو استعمل الناس هذه الكلمات ... لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت المارستانات ودكاكين الصيادلة "[٦٠]

كما اكد على ضرورة الابتعاد عن اكل بعض الحيوانات مثل ذي الناب والمخلب فعن ابن عباس قال : "نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير"[٦١], ومن اهم تعاليم المنهج الوقائي النبوي نظافة الطعام والشراب اذ قال رسول الله : " غطوا الاناء ، وأوكوا السقاء ، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء : لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ، وسقاء ليس عليه وكاء – إلا وقع فيه من ذلك الداء " [٦٢].

٦-آلية تفريج الكربات عن المسلمين في ظل انتشار الاوبئة:

الظرف والحالة التي تفرضها الاوبئة تستوجب على المؤمن ان يتجه الى جانب عبادي مهم جداً الا وهو تفريج كربات المؤمنين في الزمن العصيب ،الذي تكثر فيه أعداد المكروبين والمحتاجين ،فتقديم المساعدة لهم واجب ديني على كل القادرين لتقديم المساعدة وتفريج كرب المكروبين .

فمن سعى في تفريج كربات الآخرين أنما سعى في تفريج كربة نفسه لقوله تعالى : "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ "[٦٣] .

كما ان تفريج الكربات من أعظم أسباب استجابة الدعاء ،فقد جاء عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال : "من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر"[٦٤] .

وجاء عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحرمه ، فيحق على المسلمين الاجتهاد فيه والتواصل والتعاون عليه ، والمواساة لأهل الحاجة ، والعطف منكم تكونون على ما أمر الله فيهم رحماء بينكم متراحمين"[٦٥].

لذا وجب على المؤمن في الظروف القاسية مد يد العون لإخوانه المحتاجين ليحظى بلحظات ايمانية رائعة ومعبرة عن السعادة التي تنتاب قلب المؤمن وهو يشعر بفرحة المحتاج برفع الهموم والاحزان عنه ، وفقنا الله جميع المؤمنين لتحقيق هذه العبادة .

وبحسب ما ورد أعلاه يمكن القول ان الطب الوقائي في المنهج القرآني والنبوي يقوم اولا على الوقاية من الامراض قبل وقوعها , والعلاج منها بعد وقوعها , اما قبل وقوعها فيكون بالطهارة والنظافة والمحافظة على البيئة المحيطة بالإنسان , واما بعد وقوعها فيكون بالتداوي عامة والحجر الصحي مع الامراض المعدية خاصة , كما اكد المنهج النبوي الوقائي على ضرورة التكافل الاجتماعي خاصة مع المصابين بالمرض من خلال مد يد العون لهم حتى يتجاوز هذه المحنة .

الخاتمة

بين لنا الله تعالى في كتابه العزيز أهم الآليات التي من شأنها ان تحافظ على صحة الإنسان وتبعده عن مسببات الهلاك بالأمراض والأوبئة ،وعمل رسول الرحمة (صلى الله عليه واله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) على حث المسلمين على تطبيق هذه الآليات بصورة متكاملة ، وأبرز هذه الآليات هي :

١- الإعجاز القرآني والنبوي يكمن في اكتشاف مسببات الإمراض وحدوث العلل وانتشار الأوبئة في ذلك الوقت الذي كان فيه الناس يعتقدون ان سببها الأرواح الشريرة والشياطين والنجوم ولا علاقة لها بنظافة او نظام او سلوك غذائي معين كما كانوا يطلبون لها العلاج بالشعوذة والخرافات .

٢- شرع النهج القرآني والنبوي كل طرق الوقاية من الأوبئة والإخطار باجتناب أسبابها وتقوية كل وسائل الدفاع لمقاومتها والقضاء عليها بالاعتماد على آلية التداوي بنوعيه المادي وهي العقاقير الطبية او المعنوية بقراءة القران وذكر أهل البيت(عليهم السلام) والدعاء والصدقة والتقرب الى الله تعالى بتفريج كربات

المؤمنين وتقديم العون والمساعدة لهم ، وذلك يمثل تزكية للنفوس ، وباب من ابواب استجابة الله الدعاء من المؤمن .

٣- قدمت الشريعة الإسلامية والمتمثلة بالقران الكريم والسنة النبوية للبشرية أيسر وانجح السبل لحماية الإنسان ووقايته من العلل بالاعتماد على الغذاء الصحي من جهة وعدم الإسراف من جهة ثانية .

٤- وأثبتت الدراسة ان المشرع الإسلامي رغم اهتمامه الشديد بتعاليم المنهج الوقائي , ترك الطب العلاجي لاجتهاد الناس وهذا ليس قصورا في الدين ولكن لحكمة عظيمة مقصودة لذاتها لان المنهج الوقائي الذي شرعه الإسلام ثابت يصلح لكل زمان ومكان , اما الطب العلاجي فيتغير باكتشاف أدويه وطرق علاجية حديثة .

الهوامش

١- ماهر احمد الحولي، الطب الوقائي في الإسلام ،ص٢ ،غزة، ٢٠٠٧م .

٢- أحمد شوقي الفنجري، الطب الوقائي في الاسلام ، ص١١ ، ط٣، ١٩٩١م.

٣ - سورة فصلت /الآية ٤٤

٤ - سورة الاسراء / الآية ٨٢ .

٥ - ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي، ص٢٧٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٦- الفضل بن الحسن الطبرسي ، تفسير مجمع البيان:ج٩/ص٣٠ ،ط١، بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

٧- صدر الدين محمد الشيرازي، اسرار الايات،ص١٥، ايران، ١٤٠٢ هـ.

٨ - سورة الرعد / الآية ٢٨

٩- سورة الشعراء /الآية٨٠

١٠ – محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القران:ج٨/ص٣٢،،ط١،١٤٠٩.

١١- احمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري :ج١٠/ص٩٤ ، بيروت.

١٢- الفضل بن الحسن الطبرسي ، تفسير جوامع الجامع:ج٢/ص٦٧٨ ،،ط١،١٤٢١ هـ .

١٣- ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل:٣٩٧/١١ ، مصادر التفسير عند الشيعة.

١٤-فخر الدين الرازي، التفسير:ج١٠/ص١٩٢، ط٣، مصادر التفسير عند السنة.

١٥ – سورة النحل /الآية ٦٨-٦٩

١٦-الطوسي ، التبيان في تفسير القران:٤٠٤/٦

١٧ الطبرسي ،تفسير جوامع الجامع:٣٣٧/٢

١٨- سورة التين/الآية١

١٩- الرازي ، التفسير:٣٢/٨

٢٠ – عبدالحميد دياب، مع الطب في القرآن الكريم , ص١٥٨ . ١٥٩، الطبعة الأولى ، دمشق،١٤٠٠هـ.

٢١- سورة المائدة/ الآية٣

٢٢- سورة الأعراف , الآية ٣١

٢٣-عبد الحي الادريسي الفاسي، نظام الحكومة النبوية :ج ٢/ص٣٤٤ ، دار احياء التراث ،بيروت.

٢٤- محمد حسن الجواهري، جواهر الكلام ص٤٦٢/٣٦ ، طهران.

٢٥ – سورة البقرة / الآية١٩٥

٢٦- الطوسي، البيان في تفسير القران:١٥١/٢

٢٧- الطبرسي، تفسير مجمع البيان:٣٤/٢

٢٨-سورة التوبة/ الآية١٠٣

٢٩- سورة الحديد / الآية ٧

٣٠- سورة المنافقين / الآية ١٠

٣١- سورة ص/ الآية٤١-٤٢

٣٢- ينظر : الطوسي ،التبيان في تفسير القرآن:٥٦٦/٨-٥٦٨

٣٣- المفضل بن عمر، توحيد المفضل ، ص ٢٠٦-٢٠٧ ، ط١، قم،١٤٢٧هـ.

٣٤- محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة :ج٢٥/ص ٢٢٤، ط٢، قم، ١٤١٤ هـ.

٣٥- سورة الاسراء/ الآية٨٢ .

٣٦- احمد بن محمد البرقي ، المحاسن:ج١/ص٦٢، ، ط١، طهران ،١٣٧٠هـ.

٣٧- سعيد بن هبة الله الراوندي، الدعوات ،ص١٨ ،ط١، قم،١٤٠٧هـ.

٣٨- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي :ج ٢/ص٤٦٩، ط٣، طهران،١٣٧٦ش.

٣٩- عبدالله بن سابور ابن الزيات، طب الائمة (عليهم السلام)،ص١٧، ط٢، قم،١٤١١ هـ.

٤٠- الكليني ،الكافي :٢/٤٧٠

٤١- الكليني ،الكافي :٢/٤٧١

٤٢- الكليني ، الكافي :٤٦٨/٢ .

٤٣- الراوندي، الدعوات ،١٨ .

٤٤- الحر العاملي، وسائل الشيعة :٤٣٣/٢ .

٤٥- النووي ،المجموع:٣٣٢/٥

٤٦- الكليني ، الكافي:٢٩٣/٥

٤٧- الحر العاملي ، وسائل الشيعة :٤٩/١٢

٤٨- الحر العاملي ، وسائل الشيعة :٤٩/١٢

٤٩- محيي الدين النووي ، المجموع:ج١٦/ص٢٦٩ ،دار الفكر ،بيروت.

٥٠- النووي، المجموع:٢٦٩/١٦

٥١- علي الشاهرودي النمازي، مستدرك الوسائل :ج٦/ص٦٠٥ ،, قم ، ١٤١٨هـ .

٥٢ - محمد بن علي الشوكاني، نيل الاوطار:ج١/ص٢٤، ، بيروت ،١٩٧٣.

٥٣- النووي , المجموع ١٠٢/٤

٥٤- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم :ج٦/ص١٢٣ ، دار الفكر ، بيروت.

٥٥- احمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى:ج٤/ص١٦٥ ،ط١، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٥٦- سورة النحل /الآية ٦٩

٥٧- الكليني ،الكافي :٣٣٢/٦

٥٨- محمد بن يزيد ابن ماجة، سنن ابن ماجة:ج٢/ص١١١١ ، دار الفكر للطباعة والنشر.

٥٩-الفاسي , نظام الحكومة النبوية ٣٤٤/٢ .

٦٠- الفاسي , نظام الحكومة النبوية ٣٤٤/٢ .

٦١- الشوكاني ،نيل الاوطار:٢٨٤/٨

٦٢- ابن قيم الجوزية ،الطب النبوي،١٨١

٦٣- سورة فصلت/ الآية٤٦ .

٦٤- أبن حنبل، احمد، المسند:ج٢/ص٢٣ ، بيروت.

٦٥- الحر العاملي، وسائل الشيعة ٣٨٥/١٦ .

المصادر

*القران الكريم

* احمد ابن حنبل ، المسند ، ب٠ط ، بيروت ، لا٠ت .

* أحمد بن شعيب النسائي،السنن الكبرى ،تح: عبد الغفار سليمان البنداري ،ط١، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

* احمد بن علي ابن حجر العسقلاني ،فتح الباري في شرح صحيح البخاري، بيروت.

*أحمد بن محمد البرقي ،المحاسن ،صح: السيد جلال الدين الحسيني، ط١، طهران ،١٣٧٠هـ .

* سعيد بن هبة الله الراوندي، الدعوات، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي(عليه السلام) ،ط١، قم،١٤٠٧هـ.

*صدر الدين محمد الشيرازي ، اسرار الآيات ، تح: محمد خواجوى، ايران، ١٤٠٢ هـ.

*عبدالله بن سابور الزيات، طب الأئمة (عليهم السلام)،ط٢، قم،١٤١١ هـ.

*علي الشاهرودي النمازي، مستدرك سفينة البحار ، تحقيق : حسين بن علي النمازي , بدون طبعة , قم ، ١٤١٨هـ .

* الفضل بن الحسن الطبرسي، تفسير جوامع الجامع ،تح : مؤسسة النشر الإسلامي ،ط١،١٤٢١ هـ .

- مجمع البيان في تفسير القرآن ،تح: لجنة من العلماء ،ط١، بيروت، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

* فخر الدين الرازي ، تفسير الرازي، ط٣،مصادر التفسير عند السنة .

* ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ،تح: عبد الغني عبد الخالق دار الكتب العلمية – بيروت .

* محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ،تح: أحمد حبيب العاملي،ط١،١٤٠٩ .

* محمد حسن الجواهري، جواهر الكلام" في شرح شرائع الاسلام "، تح: محمود القوجاني دار الكتب الاسلامية،طهران.

* محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ،ط٢، قم، ١٤١٤ هـ.

* محمد بن علي الشوكاني ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، بيروت ،١٩٧٣.

* محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي، تح :علي اكبر الغفاري، ط٣، طهران،١٣٧٦ش.

* محمد بن يزيد ابن ماجه، سنن ابن ماجة ،تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر للطباعة والنشر.

*المفضل بن عمر الجعفي ،كتاب الفكر المعروف بتوحيد المفضل ،ط١،قم،١٤٢٧هـ.

* محيي الدين النووي، المجموع في شرح المهذب ، دار الفكر ، بيروت .

* مسلم بن الحجاج النيسابوري،صحيح مسلم، دار الفكر ،بيروت.

المراجع

*احمد شوقي الفنجري ، الطب الوقائي في الاسلام ، ط٣، ١٩٩١م .

* عبد الحميد دياب، مع الطب في القران، تحقيق: محمود ناظم ، ط١ ، دمشق،١٤٠٠هـ.

* عبد الحي الادريسي الفاسي، نظام الحكومة النبوية ، دار أحياء التراث، بيروت.

* ماهر أحمد الحولي، الطب الوقائي في الاسلام، غزة، ٢٠٠٧م .

* ناصر مكارم الشيرازي ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، المجموعة : مصادر التفسير عند الشيعة.